الكاظمية
للتأليف والتحقيق والنشر

وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى كميل بن زياد وآثارها في بناء الشخصية الإسلامية

قراءة تربوية موجزة

عماد الكاظمي

وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد

وآثارها في بناء الشخصية الإسلامية

عماد الكاظمي

- الكتاب: وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد وآثارها في بناء الشخصية الإسلامية.
- المؤلف: عماد الكاظمي.
- الطبعة: الأولى.
- المطبعة: دار الرافد – قم المقدسة.
- الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.
- السنة: ١٤٤٦هـ ٢٠٢٤م.

الإهداء ..

إلى مَنْ نتشرَّف بكلامه عبر العصور ..

إلى مَنْ ملأ الدنيا بنهج بلاغته وبراعته ..

إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه ..

صفحات موجزة أهديها إليك يا باب مدينة العلم ..

وصية أمير المؤمنين عليه السلام
إلى كميل بن زياد

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين ..

إنَّ بناء الشخصية الإنسانية عامة يحتاج إلى منهج قائم على أسس تربوية رصينة من جهة، وتم تطبيقه من جهة أخرى؛ حتى يمكننا أنَّ نجعله نظامًا لبناء شخصية الإنسان؛ لأنَّ الإنسان هو أشرف الموجودات، وبناء الشخصية الإسلامية خاصة يحتاج إلى ذلك أيضًا، وقد تكفَّلت الشريعة الإسلامية المقدسة بنظامها الإلهي من بناء شخصية الإنسان المسلم بناءً رصينًا، يمكنه من خلاله أنْ يكون قدوة للآخرين، حيث الدستور القرآني الراسخ الذي ضمن للمسلمين وصولهم إلى تكاملهم وصلاحهم وهدايتهم، وتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]، فالقرآن الكريم بمنهجه الإلهي له القدرة على الهداية، وهي لا تتحقق إلا من خلال التمسك بتعاليم الشريعة المقدسة، أي بالنظام الذي يحقق للإنسان سعادته، وقال تعالى مخاطبًا البشرية كلها في بيان ما يتعلق بالمنهج الإلهي في التعامل مع المسلمين وتحقيق سعادتهم في رسالتهم المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِيْ الصُّدُوْرِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٥٧. فالآية المباركة تؤكد الأهداف الأربعة الأساسية السامية لهذا المنهج وهي (١- الموعظة. ٢- الشفاء. ٣- الهداية. ٤- الرحمة)، والتأمل في هذه الأهداف يؤكد عظمة هذا المنهج في بناء الإنسان والمجتمع.

وقال تعالى في بيان أحد مناهج بناء الشخصية وهو الاستغفار والتغلب على الشيطان بالمجاهدة والعودة إلى الله الذي فطره: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[٣].

وقال تعالى في إحدى فقرات نظامه الإسلامي في بناء الشخصية من الناحية العقدية والتربوية والاجتماعية: ﴿وَٱعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٤]، ولعل ما ورد في القرآن الكريم من آيات الحكمة[٥]، وآيات صفات عباد الرحمن[٦]، وآيات وصاياه العشر[٧] يؤكد بكُلِّ وضوح بيان أسس المنهج الإسلامي في بناء الشخصية وأهميته.

إنَّ تعاليم الشريعة المقدسة لها كمال القدرة على بناء الشخصية الإسلامية من خلال نظامه القائم على مصدَرَي التشريع الأساسيين وهما (القرآن الكريم والسنة)، وفي هذه الصفحات الموجزة أحاول بيان ذلك على وفق منهج الثقلين (القرآن والعترة) اللذين خلَّفهما النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الأمة؛ ليكونا أمانًا من الضلال والانحراف.

---

(٣) سورة نوح: الآيات ١٠-١٢.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٥) ينظر: سورة الإسراء: الآيات ٢٣-٣٩.

(٦) ينظر: سورة الفرقان: الآيات ٦٣-٧٦.

(٧) سورة الأنعام: الآيات ١٥١-١٥٣.

وقد اتخذتُ وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المشهورة في تقسيم الناس على أصناف ثلاثة إلى تلميذه البارِّ كميل بن زياد النخعي رحمه الله مثالًا لذلك، حاولتُ من خلالها بيان طبقات المجتمع عامة وتقسيماته، وبيان ما يتعلق بكُلِّ طبقة منه وآثارها في بناء الشخصية الإسلامية.

وتم تقسيم الكتاب[٨] على مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة فخاتمة المطاف، فكان المبحث الأول قد تناول الطبقة الاجتماعية الأولى وهم (العلماء الربانيون) ومقامهم في بناء قاعدة القدوة والإسوة في المجتمع. والمبحث الثاني تناول الطبقة الاجتماعية الثانية وهم (طلبة العلم) وآثارهم في بناء مجتمع صالح. والمبحث الثالث تناول الطبقة الثالثة وهم (الجهلة) وآثارهم السلبية في المجتمع.

إنَّ هذه الصفحات هي محاولة تربوية لبيان مقام الشريعة الإسلامية وفضلها في التربية وبناء الإنسان، والتأكيد على ضرورة أنْ يفخر المسلمون وخصوصًا شبابنا بهذا الدين المبارك الذي يحقق لهم النظام الأمثل للسعادة والصلاح، نسأله تعالى التوفيق والتسديد في ذلك، مع الدعاء للإخوة القائمين على هذا المؤتمر العلمي بالنجاح والقبول .. إنه سميع مجيب.

عماد الكاظمي
الكاظمية المقدسة
السبت ٥ صفر ١٤٤٦هـ
١٠ آب ٢٠٢٤م

(٨) الكتاب في الأصل بحث تمت المشاركة فيه في المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثالث عشر الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بعنوان (علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحق والخلق) للمدة ٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤٦هـ الموافق ٢٧-٢٨/٩/٢٠٢٤م.

وصیة أمیر المؤمنین علیه السلام
إلی کمیل بن زیاد

تمهيد: معالم الشخصية الإسلامية ومميزاتها.

إنَّ البحث في المناهج التربوية الإسلامية والاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من آيات وروايات يؤكد سلامة ذلك المنهج من التفكير في المصلحة الشخصية الذاتية للمشرِّع، وأنه يعتني أعتناءً كبيرًا بذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، ويبحث عن أفضل السبل لتربيتهم وإعدادهم وصلاحهم، والحفاظ على فطرتهم من أي أنحراف عقدي أو تربوي.

وإنَّ مصطلح الشخصية يراد به: ((جملة الخصائص الجسمية والوجدانية والنوعية والعقلية التي تحدد هوية الفرد وتميِّزه عن غيره))[٩] وإنَّ هذا التعريف العام للشخصية القائم على مجموعة الخصائص هو الذي يحدد نوعية تلك الشخصية عند تسخيرها لقوة خصائصها المختلفة، ونحن في هذه الصفحات نبحث عن الشخصية المتكاملة التي هي قادرة على تكييف ذاتها[١٠]، بحيث تكون جميع أستجاباتها الجزئية متفقة مع أهدافها العامة، فالشخصية الإسلامية هي التي تتكيف مع الأهداف العامة التي تضعها الشريعة الإسلامية المقدسة، التي ألهمها الله تعالى معرفة النافع من الضار وأثرهما بناء الشخصية بناءً كاملًا، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[١١]، فالفلاح والخيبة قائمان على مدى تعامل الإنسان المؤمن مع تلك الخصائص النفسية على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة؛ ليستطيع بذلك أنْ يبني لنفسه شخصية معينة ذات معالم إسلامية تنظِّم أهدافها، وسبيل الوصول إليها، يمكن أنْ نطلق عليها عنوان (الشخصية الإسلامية)، وهذا ما سيتم بيانه في صفحات هذا البحث.

---

(٩) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، د.ط) ص٦٩٢.

(١٠) للتفصيل ينظر: المصدر نفسه ص٦٩٢-٦٩٣.

(١١) سورة الشمس: الآيات ٧-١٠.

وللشخصية الإسلامية مميزات عن غيرها من الشخصيات الأخرى، حيث يمكن بيان أهم مميزاتها -بعد كونها مؤمنة بالله تعالى الخالق- بما يأتي:

١- الإيجابية: وهو الاهتمام بالقضايا العامة من دون التفكير بالمصلحة الشخصية، ومصاديق ذلك على مراتب متعددة حسب المقام، فمرة يكون الاهتمام منصبًّا على قضية ما بحيث يكون المسلم المؤمن في دور الناصح والمرشد الموجِّه لها، وهذا لا يمكن أنْ يتحقق إنْ لم تكن تلك الطاقة الروحية الإيجابية التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية، التي تقوم ببث روح الأمل في الآخرين.

٢- الحركية: وتعني أنَّ الشخصية الإسلامية ليست جامدة عاكفة في المسجد أو البيت، وإنما هي شعلةٌ من نورٍ يهدي العباد بسلوكه المرسوم من الله تعالى، وهو مصداق الإسلام والداعية لأفكار وأهداف الإسلام النَّيِّرة التي لا يعتريها الباطل من أمامها أو من خلفها، وهي في حالة الاستجابة للنظام الإسلامي القائم على البناء النفسي والاجتماعي.

٣- التغيرية: فتغيير الأمة نتيجة حتمية لتكوين شخصيات إسلامية؛ لأنَّ الشخصية الإسلامية إسلام متحرك أولًا؛ ولأنه عنصر الإشعاع بفكرته ومبدئه ثانيًا، فهو لا يكتفِ أنْ يكون إنسانًا صالحًا، وإنما هو مُغَيِّرٌ لأبناء أمته.

٤- القيادية: فإنَّ الشخصية الإسلامية دائمًا وأبدًا لا تخضع لكافرٍ، أو لتأثيرِ مجتمعٍ، أو محيطٍ، أو بيئةٍ، أو عادةٍ، أو وراثةٍ تتعارض مع النظام الإسلامي، ولا تتخاذل في الميدان، بل عمل على هداية الناس وقيادتهم إلى الحياة الحرة الكريمة وإلى نعيم الآخرة[١٢].

---

(١٢) الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها، حسن محمد الشيخ علي، (مكتبة سيد الشهداء عليه السلام العامة في كربلاء، مط الغري الحديثة، النجف، ١٣٨٦هـ، د.ط) ص٤٦ ، بناء

وهذا كله يمكن أنْ نراه وجودًا حقيقيًّا في الدعوة الإلهية لعباده ومدى ٱستجابتهم إليه، حيث قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١٣).

وقد أشار السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) إلى أهمية وجود الشخصية الإسلامية وأثرها في بناء الأمة، وتغيير عقائدها القائمة على المادية والذاتية إلى حركة وتغيير، وبيان صلاح النظام الإسلامي في هذا البناء، فقال: ((إنَّ هذه الرسالة المنقذة لهي رسالة الإسلام الخالدة التي ٱستمدت نظامها الاجتماعي -المختلف عن كُلِّ ما عرضناه من أنظمة-(١٤) من قاعدة فكرية جديدة للحياة والكون، وقد أَوْجَدَ الإسلام بتلك القاعدة الفكرية النظرة الصحيحة للإنسان إلى حياته، فجعله يؤمن بأنَّ حياته منبثقة عن مبدء مطلق الكمال، وأنَّ إعداد الإنسان إلى عالم لا عناءَ ولا شقاءَ، ونصب له مقياسًا خلقيًّا جديدًا في كُلِّ خطواته وأدواره وهو رضا الله تعالى، فليس كُلُّ ما تفرضه المصلحة الشخصية فهو جائز، وكل ما يؤدي إلى خسارة شخصية فهو محرَّم غير مستساغ، بل الهدف الذي رسمه الإسلام للإنسان في حياته هو الرضا الإلهي والمقياس الخلقي الذي تُوزَنُ به جميع الأعمال إنما هو مقدار ما يحصل بها من هذا الهدف المقدس والإنسان المستقيم هو الإنسان الذي يحقق هذا الهدف،

الشخصية الإسلامية قراءة في المشروع الحضاري والإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام، الدكتور وسيم عبود عطية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٨م، العدد٤٦، ج١ ص٦٢٦-٦٢٩.

(١٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(١٤) ويقصد بها الأنظمة الوضعية العالمية المتصارعة آنذاك كالماركسية والاشتراكية والرأسمالية.

والشخصية الإسلامية الكاملة هي الشخصية التي سارت في شتى أشواطها على هدى هذا الهدف، وضوء هذا المقياس، وضمن إطاره العام))[١٥].

وفي هذه الصفحات العلوية الموجزة تم آختيار جزء من وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد[١٦]**، وبيان آثارها التربوية في بناء الشخصية من خلال الجوانب الحياتية المختلفة، التي تؤسس إلى المنهج الإسلامي لإيجاد القدوة القادرة على التأثير في الآخرين، حيث يقول عليه السلام : ((يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ: إِنَّ هَذِهِ اَلْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ، النَّاسُ ثَلاَثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يمَيلوُن مَعَ كلُّ ريحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ: الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ....))**[١٧].

---

(١٥) المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، (دار التعارف، بيروت، ١٤١٠هـ١٩٩٠م) ص٦٦-٦٧.

(١٦) كميل بن زياد بن نهيك النخعي الكوفي ولد عام ١٢هـ في اليمن، كان شريفًا مطاعًا في قومه، ومن أصحاب الإمام علي عليه السلام وخيار شيعته والمقرَّبين منه، عدَّه الشيخ المفيد من السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام عند ذكر السابقين المقربين، ومن ثقاته، قال فيه الحافظ الذهبي: شريف مطاع من كبار شيعة علي (رضي الله عنه)، ونقل عن الإمام علي عليه السلام من الآثار الخالدة في التراث الإسلامي ومنه الدعاء المشهور بـ(دعاء كميل)، وبعض الوصايا والأحاديث. قتله الحجَّاج بن يوسف الثقفي عام ٨٢هـ، ودفن في ظهر النجف ومقبرته اليوم مزار مشهور. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، د.م) ج٢ ص٨٧٧ ، معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، (ط٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م. د.مط، د.م). ج١٥ ص١٣٢.

وعن سوء فعلة الحجَّاج اللعين في كيفية قتله للعبد الصالح كميل بن زياد ينظر: تاريخ الإسلام ج٢ ص٧٦٤.

(١٧) نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت) ج٣ ص١٨٦.

إنَّ هذه الفقرة من وصيته عليه السلام في بيان ما يتعلق بمقام العلم وآثاره ومنزلة المشتغلين بتحصيله، وفضله على سواه مما يعدُّ نعمة في الظاهر، وتنشغل الناس كثيرًا في طلبه وزيادته مثل المال، والذي جعله الإمام قسيمًا للعلم في هذه الوصية كما في فقراتها اللاحقة.

وإنَّ هذا التقسيم منه عليه السلام يظهر مدى حكمته في معرفة حقائق الناس، وعظمة ما آختاره في وصيته بذلك، والابتداء ببيانه، قال آبن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) في شرحه لنهج البلاغة: ((قوله عليه السلام ثلاثَةٌ قسمةٌ صحيحةٌ؛ وذلكَ لأنَّ البشرَ باعتبارِ الأمورِ الإلهيةِ إمَّا عالِمٌ على الحقيقةِ يعرفُ اللهَ تعالى، وإمَّا شارِعٌ في ذلكَ فهو بَعْدُ في السفرِ إلى الله يطلبهُ بالتعلُّمِ والاستفادةِ من العالِمِ، وإمَّا لا ذَا ولا ذاكَ وهو العاميُّ الساقطُ الذي لا يعبأُ اللهَ، وصدقَ عليه السلام في أَنَّهم هَمَجٌ رَعَاعٌ أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، أَلا تراهُمْ ينتقَّلونَ من التقليدِ لشخصٍ إلى تقليدِ الآخرَ لأدنى خيالِ، وأضعفِ وَهْمٍ))[١٨].

وهذا التقسيم الثلاثي لتعامل الناس مع العلم بصورة عامة يؤكد مدى أهمية العلم في بناء الشخصية من جهة، وتأثُّر الناس بهذا الرافد الإلهي من جهة أخرى، حيث بيَّن الإمام الصفات التي يتضمَّنها كُلُّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة وآثارها على صاحبها، وسوف يتم بيان ذلك في المباحث الثلاثة الآتية.

(١٨) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مط دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، د.م) ج١٨ ص٣٤٦.

- المبحث الأول: الطبقة العليا: العالم.

إنَّ هذه الطبقة الأولى من المجتمع (عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ) والتي هي على مرتبة عالية منه؛ حيث كان العلم سبيلها، والعمل لله تعالى منهجها، فاقتران (العلم بالعمل) كان له أثر كبير في بناء (الشخصية القدوة)، التي لها دور كبير في بناء الأمة وأبنائها، وتعريفهم المنهج الإلهي لصلاحهم، فالعالم الذي جعله الإمام في هذه المنزلة ليس مطلقًا، وإنما (الرباني) وهذه الصفة تؤكد مدى العلاقة بين العلم الإلهي والعمل على وفق المنهج الإسلامي الذي وضعت أسسه الشريعة المقدسة، وقال الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) في شرحه للنهج: ((العَالِمُ الرَّبَّانِيُّ هُوَ الْمُتَأَلِّهُ الْعَارِفُ بِاللهِ))[١٩].

وقد ورد عن المفسرين في بيان المراد من (العالم الرباني) أقوال منها: أنهم حكماء علماء[٢٠]، وأنهم علماء فقهاء، أو حكماء أتقياء، أو معلمو الناس، أو مدبِّرو أمر الناس في الولاية بالإصلاح[٢١].

ثم قال الشيخ الطوسي قدس سره (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) في بيان معنى الكلمة وأصلها: ((وفي أصل «ربانيٌّ» قولان: أحدهما: الربَّانُ وهو الذي يربُّ أمرَ الناسِ بتدبيرهِ له وإصلاحهِ إيَّاهُ، يقال: رَبَّ أمرَهُ يُرَبِّهِ ربابَةً، وهو ربَّان: إذا دبَّره وأصلحه .... فيكون العالِمُ ربانيًّا؛ لأنه بالعلمِ يدبِّرُ الأمرَ ويصلحه. الثاني: إنه مضاف إلى علمِ الربِّ تعالى، وهو على الدين الذي أمر به، إلا أنه غير في الإضافة؛ ليدل على هذا المعنى، كما قيل:

---

(١٩) نهج البلاغة ج٣ ص١٨٦.

(٢٠) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م) ج٦ ص٥٤٠-٥٤١.

(٢١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف)، محمود بن عمر الزمخشري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ) ج١ ص٣٧٨.

بحرانيٌّ، وكما قيل للعظيم الرقبة: رقبانيٌّ، وللعظيم اللحية: لحيانيٌّ. وكما قيل لصاحب القصب: قصبانيٌّ، فكذلك صاحب علم الدين الذي أمر به الربُّ ربَّانيٌّ. وأنه الشديد التمسك بدين الله وطاعته))[٢٢].

إنَّ ما تقدم من معانٍ أوردها الشيخ الطوسي كلها تدل على عظمة هذه الصفة ورفعتها، وأثرها الكبير في بناء النفس وتربيتها من جهة، وبناء المجتمع من جهة ثانية، وأنها تعد قدوة للآخرين من جهة ثالثة، وفي جميع ذلك بيان لأثر المنهج الإلهي في بناء الشخصية وإيجاد مجتمع يعتمد العلم أساسًا لتكامله، ووضع مناهجه التربوية عامة.

ومما قاله الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) في بيان علاقة (الربَّانِيٌّ) بالتربية الذاتية والمجتمعية وآثار ذلك في البناء الإنساني عامة: ((الرَّبُّ في الأصل: التربية. وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حَدِّ التمام، يقال رَبَّهُ، وربَّاه ورَبَّبَهُ .... والرَّبَّانِيُّ قيل: منسوبٌ إلى الرَّبَّان .... وقيل: هو منسوبٌ إلى الرَّبِّ الذي هو المصدر، وهو الذي يربُّ العلمَ كالحكيم. وقيل: منسوبٌ إليه. ومعناه، يُرَبِّ نفسَهُ بالعلمِ، وكلاهما في التحقيق متلازمان؛ لأنَّ من ربَّ نفسَهُ بالعلمِ فقد ربَّ العلمَ، ومَنْ ربَّ العلمَ فقد ربَّ نفسَهُ به. وقيل: هو منسوبٌ إلى الرَّبِّ. أي: الله تعالى، فالرَّبَّانِيُّ كقولهم: إلهيٌّ، وزيادة النون فيه كزيادته في قولهم: لحيانيٌّ، وجسمانيٌّ. قال عليٌّ «رضي الله عنه»: «أنا ربَّانِيُّ هذهِ الأمةِ» والجمعُ ربَّانيُّونَ))[٢٣].

---

(٢٢) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ) ج٢ ص٥١١.

(٢٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م) ص١٩١ (رب).

وقال ٱبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالكُه وله .... قال ٱبن الأَثير هو منسوبٌ إِلى الرَّبِّ بزيادة الأَلف والنون للمبالغة، قال: وقيل: هو من الرَّبِّ بمعنى التربيةِ كانوا يُرَبُّونَ المُتَعَلِّمينَ بِصغار العُلوم قبلَ كبارِها، و«الرَّبَّانِيُّ» العالم الرَّاسِخُ في العِلم والدين، أَو الذي يَطْلُب بِعلْمِه وجهَ اللّهِ، وقيل: العالِم العامِلُ المُعَلِّمُ. وقيل: الرَّبَّانِيُّ العالي الدَّرجةِ في العِلمِ))[٢٤].

وقال الشيخ الطريحي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م): ((الربَّاني شديد التمسُّك بدين الله تعالى وطاعته. وقيل: هو من الربِّ بمعنى التربية. كانوا يربُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها))[٢٥].

فهذه الطبقة أو هذا الصنف من الناس هم الذين يكونون واسطة الخير والصلاح بين الله تعالى وعباده، وهم الأمة التي يدعو القرآن إليها؛ لأجل صلاح المجتمع وسعادته، حيث قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٦]، فكُلُّ ذلك لم يتحقق لشخصية العلماء إلا من خلال المنهج الإلهي في تربية الإنسان تربية قائمة على بناء الشخصية بناء يحقق سعادتها في الدارين.

والقرآن الكريم قد أكَّد منزلة العلماء العاملين وفضلهم ومقامهم عند الله تعالى، وبيان الدرجات الرفيعة التي وصولوا إليها بسبب ذلك، وفيه حث على الاقتداء بهم وبمنهجهم الذي تمسكوا بهم فكان لهم هذا المقام الرفيع، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ

(٢٤) لسان العرب، محمد بن مكرَّم ٱبن منظور، (مط الميرية بولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ) مادة (ربب).

(٢٥) مجمع البحرين، فخر الدين، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩م، د.ط) ج٢ ص٦٥.

(٢٦) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢٧]، فالعلم من آثاره هو الوصول إلى درجات رفيعة في العقيدة الحقَّة القائمة على التوحيد والعدل في الآية المباركة وقرنهم بالملائكة، قال الشيخ الطبرسي قدس سره (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) في بيان هذا التفضيل في تفسيره: ((وتضمَّنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء؛ لأنَّه تعالى قرن العلماء بالملائكة، وشهادتهم بشهادة الملائكة، وخصَّهم بالذكر كأنَّه لم يعتدَّ بغيرهم، والمراد بهذا العلم التوحيد وما يتعلق به من علوم الدين؛ لأنَّ الشهادة وقعت عليه))[٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢٩]، فالآية ظاهرة الدلالة في بيان الآثار العملية على الشخصية والوصول بها إلى مراتب عظيمة عند الله تعالى، ومقام أولئك في المجتمع، قال السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) في تفسيره: ((آستئناف يوضح أنَّ الاعتبار بهذه الآيات إنَّما يؤثِّر أثره ويورث الإيمان بالله حقيقة والخشية منه بتمام معنى الكلمة في العلماء دون الجهال، وقد مَرَّ أنَّ الإنذار إنَّما ينجح فيهم حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾[٣٠] فهذه الآية كالموضِّحة لمعنى تلك، تبيِّن أنَّ الخشية حق الخشية إنَّما توجد في العلماء، والمراد بالعلماء العلماء بالله، وهم الذين يعرفون الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله معرفة تامة، تطمئنُّ بها قلوبهم، وتزيل وصمة الشك والقلق عن نفوسهم، وتظهر آثارها في أعمالهم فيصدِّق فعلهم قولهم، والمراد بالخشية حينئذ

(٢٧) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج٢ ص٢٥٨.

(٢٩) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٣٠) سورة فاطر: الآية ١٨.

حق الخشية، ويتبعها خشوع في باطنهم، وخضوع في ظاهرهم، هذا ما يستدعيه السياق في معنى الآية))[٣١]، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في بيان المراد بالخشية في الآية المباركة: ((يَعْنِيْ بِالْعُلَمَاءِ مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ))[٣٢].

ولأجل ما تقدم نرى أنَّ الروايات الشريفة المتعددة التي تحث على طلب العلم من جهة، وأنْ يكون مقرونًا بالعمل من جهة أخرى كثيرة، وفيها آثار متعددة على سلوك الإنسان، والتحذير من ٱفتراقهما وبيان تلك الآثار السلبية على الفرد والأمة، ومن تلك الروايات:

١ - روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((أَلَا وَإِنَّ الْعَالِمَ مَنْ يَعْمَلُ بِالْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ قَلِيْلَ الْعَمَلِ))[٣٣].

فالرواية الشريفة تؤكد أنَّ حقيقة العالم على وفق منهج النبي الأكرم هو العامل بعلمه، فالعلم لا بُدَّ أنْ تكون غايته العمل به وإنْ كان قليلًا، وإنَّ ٱبتداء الرواية بحرف الاستفتاح (أَلَا)[٣٤] فيه دلالة على توكيد بيان حقيقة العالم، وما يجب أنْ يكون من قدوة

---

(٣١) الميزان في تفسير القرآن، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ج١٧ ص٤٣.

(٣٢) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د.ط) ج١ ص٣٦ باب (صفة العلماء)، الحديث ٢.

(٣٣) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، (ط١، مط شريعت، ١٤٢٦هـ، قم) ص٢٩٣.

(٣٤) الحرف (ألا) يقع على خمسة أوجه: أحدها: أنْ يكون للتنبيه؛ فيدل على تحقق ما بعده، وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من (أ) و(لا)، وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق. ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري:

في المجتمع من خلال عمله الذي يصدِّق علمه، وهي أبلغ رسالة أثرًا وتأثيرًا وإقناعًا، ومحاولة للتذكير بهذا الدور الذي يجب أنْ يقوم به العالم في زوايا المجتمع المختلفة مهما أمكنه ذلك؛ ليكون له حضور في المجتمع من جهة، ويكون وجوده مشجِّعًا للآخرين على العمل واقعًا لا نظريًّا، كما هي سيرة النبي والأئمة عليهم السلام في الأمة.

٢- روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيان صفات العلم وأهله: ((وَأَمَّا الْعِلْمُ، فَيَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْغِنَى وَإِنْ كَان فَقِيْرًا، وَالْجُوْدُ وَإِنْ كَانَ بَخِيْلًا، وَالْمَهَابَةُ وَإِنْ كَانَ هَيِّنًا، وَالسَّلَامَةُ وَإِنْ كَانَ سَقِيْمًا، وَالْقُرْبُ وَإِنْ كَانَ قَصِيًّا، وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ صَلِفًا، وَالرِّفْعَةُ وَإِنْ كَانَ وَضِيْعًا، وَالشَّرَفُ وَإِنْ كَانَ رَذِلًا، وَالْحِكْمَةُ وَالْحَظْوَةُ، فَهَذَا مَا يَتَشَعَّبُ لِلْعَاقِلِ بِعِلْمِهِ، فَطُوْبَى لِمَنْ عَقِلَ وَعَلِمَ))[٣٥].

إنَّ الرواية الشريفة تؤكد عظمة العلم ومقامة وبيان آثاره التربوية الكبيرة، وإنَّ هذه الآثار العشرة لهي أعظم الآثار التي تظهر في شخصية (العالم الرباني)، فما أعظمها من آثار وصفات مهمة (١- الغنى، ٢- الجود، ٣- المهابة، ٤- السلامة، ٥- القرب، ٦- الحياء، ٧- الرفعة، ٨- الشرف، ٩- الحكمة، ١٠- الحظوة)، وإنَّ التأمل في هذه الصفات وما ورد فيها من روايات متعددة، تؤكد أهمية المنهج الإسلامي في بناء شخصية الفرد والأمة، وأنها في الواقع تأكيد لما سيذكره الإمام علي عليه السلام في تكملة وصيته لكميل في بيان فضل العلم على المال!! فإنَّ المال لا يمكنه أنْ يأتي بهذه الصفات المباركة، التي ترفع من مقام صاحبها عند الله تعالى، وعند الآخرين، ولو

تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م) ج١ ص٩٥-٩٦.

(٣٥) تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن شعبة الحراني، تقديم: حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ص٢٠.

ٱستطاع أنْ يأتي ببعضها فنهايتها مع نهاية وجوده، أما العلم فله الخلود وكفى بـــذلك فخرًا!!

٣- روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ((كُلُّ عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ))[٣٦].

إنَّ هذا التحذير في الرواية الشريفة يجعل العالِم أمام ٱختبار حقيقي في مدى ٱلتزامه بتعاليم ووصايا الشريعة المقدسة، والتي أكدت في روايات كثيرة على أهمية أنْ يكون العلم مقرونًا بالعمل، وفي ذلك من الآثار في الدنيا والآخـــرة، وهـــذه مـــنهج إسلامي مهم في بناء شخصية الإنسان، ومنهم العلماء الذين يجب أنْ يكونـــوا قـــادة الأمة، ويعلِّموا الناس ما يحتاجونه في سبيل صلاحهم، سواء في الجانب العقدي أو الفقهي أو التربوي وغيره، فالمجتمع بحاجة إلى كُلِّ ذلك، والعالم الرباني له القدرة على إتقان قيادتهم في ذلك، فالعلم رأس المال العمل وعلينا ٱستثمار هذا الـــمال في هذه التجارة العظيمة.

٤- روي عن الإمام علي عليه السلام : ((ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ لِلْحَيَاةِ))[٣٧].

إنَّ الرواية العلوية صريحة في بيان أهداف العلم وساحته في العمـــل، وهـــو لأجل الحياة الكريمة التي تحقق السعادة والصلاح والخير للناس، فإنْ كانت الرواية تقصد أصل العمل وساحته وهي الحياة الدنيا ففي ذلك بناء تربوي للمجتمـــع، وإنْ كانت الحياة الأخرى فهي لا تتحقق إلا بالعمل كذلك، وقد ورد عنه عليه السلام أنَّ من ثمار

---

(٣٦) منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي الشهيد الثـــاني، تحقيـــق: رضـــا المختاري، (مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤٠٩هـ) ص٣٥.

(٣٧) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي الآمدي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مـــط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م) ص١٨٠.

العلم العبادة، وإخلاص العمل والخوف وغيرها وكلها بالتالي لها أثر كبير في الناحية العملية، وتربية النفس، وبناء المجتمع، وأنْ يكون العالم بما يظهره من آثار علمه قدوة للآخرين، وفي ذلك نظرة تكاملية للعلم.

٥- روي الإمام علي عليه السلام: ((أَشَدُّ النَّاسِ نَدَمًا عِنْدَ الْمَوْتِ الْعُلَمَاءُ غَيْرُ الْعَامِلِيْنَ))[٣٨].

الرواية ظاهرة المعاني التي تحذِّر العلماء من انفتراقهم عن العمل، أو عدم المبالاة في ذلك، فالعلم سيكون حجة عليهم يوم القيامة، وستكون آثاره الندامة حيث لا ينفع الندم يومذاك، فعلى العالم أنْ يكون عاملًا ليحقق الغاية من جهاده في طلب العلم، والصبر والمشقة في ذلك، وإلَّا كان العلم حجة عليه أمام الله تعالى؛ لأنه لم يؤدِّ واجب العلم وحقيقته!!

إنَّ جميع ما تقدَّم من الآيات المباركة والروايات الشريفة وأقوال المفسرين تؤكد المعنى الحقيقي لقوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأنْ يكون العالم (ربَّانيًّا)، وتوافق ما ورد من معان متعددة للربَّانيِّ، وآثار ذلك في البناء الإنساني، وواقع الأمم حقيقة يؤكد دور العلماء العاملين وآثارهم في خدمة البشرية، وقد تم التأكيد والتفصيل بالبيان لهذه الطبقة لأهميتها الكبيرة في الأمة من حيث أنها إمَّا قدوة صالحة تدعو إلى الصلاح بما تقوم به، فتتبعها الأمة في ذلك، وإما ما يقابل ذلك لا سمح الله، وتركيزه عليه السلام على العلم مع العمل ثابت في كثير من أقواله المباركة، فضلًا عن سيرته المشهورة.

(٣٨) غرر الحكم ودرر الكلم ص١٠٨.

- المبحث الثاني: الطبقة الوسطى: المتعلم.

إنَّ هذه الطبقة الثانية من المجتمع (مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيْلِ نَجَاةٍ)، والتي هي في المرتبة الوسطى منه على وفق التقسيم الثلاثي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فهي طبقة مهمة كذلك؛ حيث كان العلم سبيلها، والنجاة من الجهل وآثاره في تلويث الفطرة الإنسانية، فاقتران (العلم بالنجاة) كان له أثر كبير في بناء هذه الشخصية من أبناء المجتمع، الذين تعرَّفوا على هذه الحقيقة القائمة على أنَّ السعادة والصلاح والنجاة من الهلكة لا يكون إلا بالعلم، وأنَّ العلم سبيل مقدَّس للنفس الإنسانية قد أكده العقل والشرع، ومخالفة ما يقابله من الجهل وآثاره، ومما ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيان صدق ذلك وأثره، أنه قد سأله رجل عن أفضل الأعمال فقال: ((الْعِلْمُ بِالله، وَالْفِقْهُ فِيْ دِيْنِهِ. وَكَرَّرَهُمَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ الله أَسْأَلُكَ عَنِ الْعَمَلِ فَتُخْبِرُنِيْ عَنِ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُكَ مَعَهُ قَلِيْلُ الْعَمَلِ، وَإِنَّ الْجَهْلَ لَا يَنْفَعُكَ مَعَهُ كَثِيْرُ الْعَمَلِ))(٣٩).

لهذا نرى أنَّ الإمام عليه السلام يؤكد بدقة متناهية بيان أهداف هذه الطبقة وهو العلم الذي يؤدي بهم إلى النجاة، ويكون سببًا في إخراجهم من ضياعهم وٱنحراف فطرتهم، وليس مطلق العلم، فهناك موضوعات في العلم المقصود لهذه الطبقة يجب أنْ يكون المتعلِّم الباحث عن النجاة على بينة منها، فنصوص الشريعة قد حذرت من بعض تلك العلوم، وبيَّنت النافع منها، ويمكن بيانها بالآتي:

١ - علوم لا تضرُّ صاحبها إنْ جهلها.

مثل علم الأنساب وعلم التاريخ العام للشعوب، وبعض العلوم الإنسانية أو العلمية التخصصية المعهودة، فالجهل بهذه العلوم ليس فيه من الآثار على بناء

---

(٣٩) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ) ج٥ ص٢١٠٦.

الشخصية وتربيتها؛ لأنها إما معلومات عامة لا علاقة لها بالعمل، أو تخصصية في مجالها المعيَّن، وهذا النوع من العلم قد أشارت إليه بعض الروايات الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام حيث يمكن إفادة ذلك من نصوصها الشريفة، فالشريعة المقسة حريصة في نظامها المعرفي على أنْ ينشغل الناس عامة في علوم لها أثر في نجاتهم وسعادتهم لا مطلق العلوم، فمثلًا روي عن الإمام علي عليه السلام: ((وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحُقُّ تَعَلُّمُهُ))(٤٠)، وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام: ((دَخَلَ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمَسْجِدَ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوْا بِرَجُلٍ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيْلَ: عَلَّامَةٌ. فَقَالَ: وَمَا الْعَلَّامَةُ؟ فَقَالُوْا لَهُ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا، وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْأَشْعَارِ وَالْعَرَبِيَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهِلَهُ، وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيْضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ))(٤١).

---

(٤٠) نهج البلاغة ج٢ ص٤٥.

(٤١) الكافي ج١ ص٣٢، باب (صفة العلم وفضله وفضل العلماء)، الحديث ١.

ومما ورد في تعليق الشيخ علي أكبر الغفاري (رحمه الله) على الحديث في تحديده للعلوم الثلاثة النافعة للإنسان: ((فالعلم في نظر الشارع الأقدس حيث يذكر العلم ويقول: طلب العلم فريضة على كُلِّ مسلم، هو العلم بإحدى هذه الثلاثة. إمَّا معرفة آية محكمة من القرآن ترشده، أو معرفة فريضة من فرائض القرآن وهي الأحكام التي لا مندوحة عن معرفتها والعمل بها، أو سُنَّة صالحة قائمة على أصولها "كالسنن النبوية"، يكون العمل بها سببًا لتزكية المرء وأدبه في الدين والدنيا. وأمَّا باقي المعارف فإنما هو فضل، وصاحبه في الشرع فاضل لا عالم)). المصدر نفسه.

وقد فصَّل الشيخ المازندراني بيان ما يتعلق بالحديث، وأنواع العلوم وأهميتها في شرحه للحديث. للتفصيل ينظر: شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م) ج٢ ص٢١-٢٤.

٢- علوم تؤدي إلى ضلال وٱنحراف صاحبها عن الشريعة المقدسة.(٤٢)

وتضله عن سبيل هدايته ونجاتها فتكون سببًا ضارًّا لا نافعًا في بناء الشخصية وتربيتها، حيث تظهر آثارها عند ولوج صاحبها فيها وإتقانها، ومما حذرت منه الشريعة مثل الكهانة والتنجيم والسحر وغيرها(٤٣)، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُوْمِ، إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِيْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُوْ إِلَى الْكَهَانَةِ(٤٤). وَالْمُنَجِّمُ(٤٥) كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرُ فِيْ النَّارِ))(٤٦)، فإنَّ هذا التحذير من هذه العلوم توجب على الإنسان المؤمن أنْ يكون على حذر من تعلمها وتعليمها والدعوة إليها، حيث الآثار الكبيرة التي تترتب على صاحبها من ٱنحراف عن الإيمان إلى الكفر، فضلًا عن أنَّ ٱرتكاب المحرمات والمكروهات له أثر

---

(٤٢) والانحراف المقصود أعم من الحرمة والكراهة في تقسيمات التكاليف الشرعية الخمسة المعهودة.

(٤٣) للتفصيل في معرفة تلك الروايات وبيان ما يتعلق بها من آثار مختلفة ينظر: ميزان الحكمة ج٣ ص١٢٧٨-١٢٦٩، ج٧ ص٣٢٤٤-٣٢٤٧.

(٤٤) ومما ورد في حكمها وتعريفها: ((الكهانة حرام . وهي: الإخبار عن المغيبات بزعم أنه يخبره بها بعض الجان، أما إذا كان ٱعتمادًا على بعض الأمارات الخفية فالظاهر أنه لا بأس به إذا ٱعتقد صحته أو ٱطمأن به، وكما تحرم الكهانة يحرم التكسب بها، والرجوع إلى الكاهن، وتصديقه فيما يقوله)). منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١٩، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م) ج٢ ص١٢.

(٤٥) ومما ورد في حكمه وتعريفه: ((التنجيم حرام. وهو الإخبار عن الحوادث، مثل: الرخص والغلاء والحر والبرد ونحوها، ٱستنادًا إلى الحركات الفلكية والطوارئ الطارئة على الكواكب من الاتصال بينها، أو الانفصال، أو الاقتران أو نحو ذلك ، باعتقاد تأثيرها في الحادث على وجه الاستقلال، أو الاشتراك مع الله تعالى ....)). المصدر نفسه ج٢ ص١٢-١٣.

(٤٦) نهج البلاغة الخطبة ٧٩ ج١ ص١٢٥.

في سلوك الإنسان وتربيته وضلاله، وهذا ما نراه من تحذير الشريعة المقدسة من ٱرتكابه، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : ((رُبَّ عِلْمٍ أَدَّى إِلَى مَضَلَّتِكَ))(٤٧).

فالإمام علي عليه السلام في بيانه لهذه الطبقة قد خصص العلم المطلوب والذي يجب البحث عنه وتعلمه؛ لما فيه من آثار لنجاة صاحبه، وهذا يحتاج –حقيقة– الرجوع إلى أهل الخبرة في معرفة ذلك، وإنْ كانت الروايات الشريفة المتعددة عن النبي والأئمة عليهم السلام قد أشارت إلى ذلك إجمالًا من جهة، وتفصيلًا من جهة أخرى، ومن تلك الروايات التي لا بأس ببيانها والاطلاع عليها، والتي أراها تضع الخطوط العامة لأهمية العلوم التي علينا أنْ نتعلمها ونعمل بها لتكون ظاهرة في سلوكنا، فمجرد العلم لا يؤدي إلى النجاة والصلاح ما لم يعمل به.

١ – روي عن الإمام علي عليه السلام : ((خَيْرُ الْعِلْمِ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ رَشَادَكَ، وَشَرُّهُ مَا أَفْسَدْتَ بِهِ مَعَادَكَ))(٤٨).

إنَّ الإمام عليه السلام يرشدنا إلى هذين المتقابلين من فضائل الأخلاق ورذائلها، وغاية كُلٍّ منهما، فالإنسان عامة والمؤمن خاصة هو الباحث عن سعادته ونجاحه ونجاته، وهذا لا يكون إلا من خلال التفكر والتأمل بحقيقة وفلسفة وجوده في هذه الحياة ورسالته، فالأخلاق غاية عظيمة وبها يتفاضل الناس بها في الدنيا ويكون لهم مقام وفضل بين أقرانهم، والشريعة الإسلامية المقدسة في منظومتها التربوية والأخلاقية لا تقتصر على الدنيا فحسب، بل على الحياة الحقيقية وهي الآخرة التي قال تعالى فيها: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(٤٩)، فالسالك بالعلم

(٤٧) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢١٥.

(٤٨) المصدر نفسه ص١٩٧.

(٤٩) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

سبيل النجاة عليه مراعاة هذين الأمرين في تعلمه، ما يصلح به رشاده وهداه وٱستقامته في الدنيا، وما يصلح له عقيدته وما فيها من آثار عليه في الآخرة.

٢- روي عن الإمام علي عليه السلام : ((رَأْسُ الْعِلْمِ التَّمْيِيْزُ بَيْنَ الْأَخْلَاقِ، وَإِظْهَارُ مَحْمُوْدِهَا، وَقَمْعُ مَذْمُوْمِهَا))(٥٠).

إنَّ في الحديث الشريف دلالة صريحة على أهمية أنْ يكون للعلم دور رئيس في تربية الإنسان، وإظهار مكامن فطرته القائمة على فضائل الأخلاق في الجانبين النظري والعملي؛ ليكون العلم بذلك هو السبيل إلى صلاح النفس من جهة، وإصلاح الآخرين من جهة أخرى، وهي مسؤولية كبيرة تقع العلماء وطلبة العلم الذين هم قادة المجتمع ومربُّوهم، والقدوة إلى مكارم الأخلاق، فإظهار المحمود من فضائل الأخلاق، وقمع المذموم من رذائل الأخلاق قولًا وعملًا يؤدي إلى بناء شخصية مستقيمة في صلاحها وإصلاحها؛ فضلًا عن وصولها إلى مقامات عظيمة عند الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥١).

٣- روي عن الإمام الباقر عليه السلام : ((ٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا عِلْمَ كَطَلَبِ السَّلَامَةِ، وَلَا سَلَامَةَ كَسَلَامَةِ الْقَلْبِ))(٥٢).

إنَّ إرشاد الأئمة عليهم السلام إلى ما ينفع الناس عمومًا، وما ينفعهم في مجال تربيتهم التربية العقدية أو الأخلاقية أو غيرهما خصوصًا إنما ينبثق من أصل أهداف الرسالة الإسلامية المقدسة القائمة على الهداية والرحمة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ

(٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢١٣.

(٥١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٥٢) تحف العقول ص٢٠٥.

بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٥٣)، وهم عليهم السلام عِدْلُ القرآن وترجمانه، فالعلم الذي يجب الانشغال به والعمل على حصوله هو الذي تظهر آثاره في البناء الإنساني؛ لأنَّ الإنسان أشرف الموجودات وقد كرمه الله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٥٤)، فيبغي لهذا المكرَّم من قبل الخالق أنْ يكون له منهج يحافظ على تكريمه، وهذه الرواية تؤكد على أهمية العلم وشرفه في الحفاظ على تكريم الإنسان بالحفاظ على سلامة القلب من الانحرافات العقدية والتربوية ليكون أهلًا للكرامة في الآخرة كما قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٥٥).

٤ - روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((حَدِيْثٌ فِيْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ تَأْخُذُهُ مِنْ صَادِقٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيْهَا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ))(٥٦).

إنَّ الرواية الشريفة تؤكد على أهمية علم الفقه حيث معرفة الأحكام الشرعية التكليفية؛ ليكون المؤمن على بينة من عباداته وغيرها، ففي هذا العلم نجاة الإنسان من ٱرتكاب ما يخالف تعاليم الشريعة المقدسة، والرواية تؤكد فضل الحديث الواحد الذي يتعلمه على الذهب والفضة وفي ذلك كمال العناية منهم عليهم السلام في الحث على العلم والتعلم ونشر العلم بين أبناء المجتمع، ولا يخفى ما في ذلك من أثر في بناء شخصية إسلامية متمسكة بتعاليم النظام الإسلامي، حيث يكون جميع ما يصدر عنها

(٥٣) سورة الأعراف: الآية ٥٢.

(٥٤) سورة الإسراء: الآية٧٠.

(٥٥) سورة الشعراء: الآيات ٨٧-٨٩.

(٥٦) ميزان الحكمة ج٥ ص٢١٠٧.

موافقًا للمشرِّع، وهذا يدل على مدى مراقبة العبد للمولى وفيه كمال العبودية والإخلاص فيها، ويكون بذلك مصداقًا لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٥٧)، ومما لا خلاف فيه أنَّ المؤمن العابد لله، هو الذي يكون مصدر عطاء للآخرين، حيث امتثاله لتعاليم الله تعالى، وهذا من أعظم سبل النجاة.

٥- روي عن الإمام الصادق عليه السلام: ((مَنْ تَعَلَّمَ للهِ، وَعَمِلَ للهِ، دُعِيَ فِيْ مَلَكُوْتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيْمًا. فَقِيْلَ: تَعَلَّمَ للهِ، وَعَلَّمَ للهِ، وَعَمِلَ للهِ))(٥٨).

إنَّ الحديث يؤكد منزلة العلم بصورة عامة، والمتعلمين بصورة خاصة، ومقام المتعلمين والعاملين من أجل خدمة الآخرين في المجتمع، وهذه المنزلة لا يقتصر معرفته على أهل الأرض، بل على أهل السماء إنْ توافرت فيها الأمور الثلاثة (التعلم، والعلم، والعمل) خالصة لله عز وجل، فالمتعلم من أجل نجاته عليه أنْ يعلم أهمية الإخلاص في العمل، ومقامه في الحفاظ عليه من الضياع، ومنزلته عند الله تعالى؛ ليبذل بذلك وسعه من أجل الوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة، وأداء دوره في بناء شخصيته.

إنَّ هذه الطبقة الوسطى في المجتمع تعدُّ قدوة في بناء الشخصية للآخرين من خلال علمها وعملها والسعي والانشغال بذلك؛ لذلك كانت من الطبقات الممدوحة عن الإمام عليه السلام في تقسيمه الثلاثي للناس، وعلينا أنْ نحث المجتمع على اتخاذ هذا الطريق سبيلًا إلى ما تقدم من مقامات العاملين في ذلك، حيث النجاة بالعلم من الأمراض التي تلوِّث الفطرة الإنسانية، ويحافظ على مكارم الأخلاق، وينجو به من

(٥٧) سورة الفاتحة: الآية ٥.

(٥٨) الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، (الناشر: دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ) ص٤٧.

أنواع الانحرافات ويسلم قلبه منها، وتكون أعماله موافقة لأحكام تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة كما تقدم في الروايات الشريفة الأربع.

وإنَّ هاتين الطبقتين هما اللتين تعدَّان قدوة الأمة، والمأمول عليهما العمل على صلاح الناس وهدايتهم، فهم خير الناس كلهم، وبهم تكون الحياة حقيقية وسعيدة، وقد أشار إليهم عليه السلام بقوله: ((لَا خَيْرَ فِيْ الْعَيْشِ إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: عَالِمٍ مُطَاعٍ، أَوْ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ))(٥٩).

(٥٩) الكافي ج١ ص٣٣ باب (صفة العلم وفضله وفضل العلماء) الحديث ٧.

- المبحث الثالث: الطبقة الدنيا: الجاهل.

إنَّ هذه الطبقة الثالثة من الجهلة في المجتمع (هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ)، هي المرتبة الدنيا منه على وفق التقسيم الثلاثي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي طبقة كثيرة في المجتمع؛ لذلك تم التعبير عنها في الحديث بصيغة الجمع، وهي كذلك في الواقع، والجهل من الأمراض العقدية والتربوية والاجتماعية، وفيه آثار سلبية كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع.

وفي بيان معنى الجهل وتقسيماته قال الراغب الأصفهاني بقوله: ((الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: وهو خلوُّ النفس من العلم هذا هو الأصل، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيًا للأفعال الخارجة عن النظام، كما جعل العلم معنى مقتضيًا للأفعال الجارية على النظام. والثاني: ٱعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه. والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقَّه أن يفعل، سواء ٱعتقد فيه ٱعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا، كمن يترك الصلاة متعمدًا، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُوًا قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ﴾(٦٠)، فجعل فعل (الهزو) جهلًا، وقال عز وجل: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ﴾(٦١))(٦٢).

إنَّ هذا التقسيم من الراغب الأصفهاني إشارة إلى تقسيم الجهل إلى البسيط والمركب، فالبسيط هو جهل الإنسان بشيء وهو يعلم بجهله، والمركب هو جهله

(٦٠) سورة البقرة: الآية ٦٧.

(٦١) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٦٢) المفردات في غريب القرآن ص ١٠٧ (جهل).

بالشيء مع ٱعتقاده بالعلم، فلا يعلم أنه لا يعلم، وهو أقبح من الأول[٦٣]، والصفات التي يذكرها الإمام علي عليه السلام في بيان ما يتعلق بهذه الطبقة يشمل القسمين من الجهل، وإنْ كان ما يصدر عن الثاني أشد ضررًا وٱنحرافًا على الشخصية الإسلامية في جوانب متعددة؛ لذلك تم وصفهم بـ(الهمج الرعاع)، ثم ذكر أربع حالات لهم في واقعهم.

وفي معنى (الهمج) قال ٱبن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م): ((هو البَعوضُ، ويقال لرُذَّالِ النَّاس: الهَمَجُ تشبيهًا))[٦٤].

وقال ٱبن منظور: ((والهَمَجُ جَمْعُ هَمَجَةٍ، وهي ذبابٌ صغيرٌ كالبعوضِ يسقطُ على وجوهِ الغنمِ والحُمُرِ وأَعينِها .... ويقال لرُذالَةِ الناسِ هَمَجٌ .... وفي حديث علي «رضي الله عنه» وسائرُ الناسِ هَمَجٌ رَعاعٌ شَبَّه عليٌّ عليه السلام رَعاعَ الناسِ بالبعوضِ، والهَمَجُ رُذالُ الناسِ. ويقال لأُشابه الناسَ الذينَ لا عقولَ لهم ولا مُرُوءَةَ: هَمَجٌ هامِجٌ، وقومٌ هَمَجٌ لا خيرَ فيهِ))[٦٥].

وفي معنى (الرعاع) قال ٱبن فارس: ((وَهُمْ سفلةُ الناسِ))[٦٦].

وقال ٱبن منظور: ((والرَّعاعُ الأَحداثُ، ورَعاعُ الناس سُقّاطُهم وسَفِلَتُهم .... وفي حديث علي «رضي الله عنه» وسائرُ الناسِ هَمَجٌ رَعاعٌ))[٦٧].

---

(٦٣) ينظر: المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، (دار التعارف، بيروت، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م، د.ط) ص١٩-٢٠.

(٦٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد، ٱعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط)، باب (همج).

(٦٥) لسان العرب مادة (همج).

(٦٦) معجم مقاييس اللغة (رعع).

(٦٧) لسان العرب مادة (رعع).

وقال الشيخ محمد عبده في شرحه للنهج: ((والهَمَجُ محرَّكَةٌ: الحمقى من الناس. والرَّعَاعُ كسحابٍ: الأحداثُ الطغامُ الذينَ لا منزلَةَ لهم في الناسِ. والناعقُ: مجازٌ عن الداعي إلى باطلٍ أو حَقٍّ))(٦٨).

ومما تقدم فإنَّ هذا الوصف (همج رعاع) لهذه الطبقة هو كناية عن رذالتهم وعدم أهمية مقامهم في المجتمع والاعتناء بوجودهم؛ لأنهم كانوا أداة لغيرهم في توجيههم لمصالحهم الشخصية الدنيئة؛ وسبب ذلك لأمر أساسي مهم وهو (العلم)، إذ لم يلجؤوا إلى ما يخرجهم من الظلمات إلى النور فيكونون إما علماء أو متعلمون، ولكن مع كُلِّ ذلك فإنهم يمثلون جانبًا كبيرًا من جوانب شخصية الأمة، ويجب التعامل معهم بحذر، وعدم فسح المجال لفرض شخصيتهم السلبية، وهم السبب الرئيس في نكبات الأمم بقتل أنبيائها وأئمتها ومصلحيها على مدى التاريخ، والشواهد في ذلك كثيرة جدًّا؛ لذلك مما ورد عن الإمام علي عليه السلام في الوقوف بوجههم بحزم وشدة وعدم توانٍ بعد نصحهم ودعوتهم إلى الرشاد وعدم نفعهم بذلك قوله: ((لَا يُرْدَعُ الْجَهُوْلُ إِلَّا حَدُّ الْحُسَامِ))(٦٩).

ولعل هذا النص العلوي المبارك للطبقة الثالثة من المجتمع يعدُّ مادة علمية للباحثين في الدراسات النفسية والاجتماعية، وخصوصًا فيما يتعلق بالدراسات المختصة بالعقل الجمعي والفردي وآثارهما على الشخصية، والتغييرات المجتمعية بسبب ذلك.

ولو تتبعنا النصوص القرآنية لرأينا أنَّ الله تعالى قد ذم الجاهل، وحذَّر من صفاته وأتباعه، ودعا إلى تهذيب النفس من هذه الصفة المذمومة التي هي من

---

(٦٨) نهج البلاغة ج٣ ص١٨٦.

(٦٩) غرر الحكم ودرر الكلم ص٤٣٣.

الأمراض الخطيرة للإنسان، فمثلًا قال تعالى في مقام الإعراض عنهم وعدم التأثُّر بجمعهم أو دعواتهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٧٠]، فالآية المباركة تؤكد أنَّ التعامل مع الناس يجب أنْ يكون على وفق أسس معينة، لا مطلقًا حيث هناك ممن يجهل تلك الأسس ويحاول فرضها على الآخرين بعادات وتقاليد متعددة، قال الشيخ الطوسي قدس سره: ((أمر الله تعالى نبيه أنْ يأخذ مع الناس بالعفو، وهو التساهل فيما بينه وبينهم .... وقوله ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ يعني بالمعروف وهو كُلُّ ما حسن في العقل فعله أو في الشرع، ولم يكن منكرًا ولا قبيحًا عند العقلاء. وقوله عز وجل ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أمر بالإعراض عن الجاهل السفيه، الذي إنْ كلَّمه سفه عليه وآذاه بكلامه، وأمره إذا أقام عليهم الحجة وبيَّن بطلان ما هم عليه من الكفر والمعاصي أنْ يعرض عنهم ولا يجاوبهم في مكروه يسمعه، صيانة لنفسه عنهم))[٧١]، وإنَّ هذا الإعراض بسبب جهلهم وعنادهم تجاه دعوة الشريعة المقدسة والتمسك بتعاليمها.

وقال تعالى في بيان صفات المؤمنين الممتثلين لتعاليم الشريعة المقدسة عند بيان صفاتهم المتعددة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٧٢] أي فلا نطلب معاشرة أولئك الجاهلين؛ لما اتَّصفوا بصفات ذميمة ومنها اللغو، فنحن لا نريد أنْ نكون مثلهم بل نقابلهم بالإعراض[٧٣].

(٧٠) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٧١) التبيان في تفسير القرآن ج٥ ص٦٢

(٧٢) سورة القصص: الآية ٥٥.

(٧٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ج١٦ ص٥٥.

والصفات الأربع التي ذكرها الإمام عليه السلام في الحديث كمثال لشخصية الإنسان الجاهل هي الآتي:

١ - أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ.

إنَّ هذه الصفة الأولى لهم هي تشبيههم بالبهائم الفاقدة للعقل بخلقتها الإلهية، بل إنَّ عدم ٱستثمار الإنسان لنعمة العقل في التفكير وإدراك الحقائق يعدُّ شرٌّ منها، فكانوا كمثل البهائم التي تستجيب لناعقها فقط، أينما يوجهها تستجيب له، وقد أشار القرآن إلى هذه الصفة المذمومة عند بعض الناس، فقال تعالى في وصف الذين كفروا بعد النصيحة الإلهية لهم باتباع ما أنزل الله إليهم، وعدم ٱتباع الآباء على كفرهم: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٧٤)، فالبهائم إذا زجرها صاحبها فإنها تسمع الصوت ولا تدري ما يريد، وكذلك الكفار إذا قرأت عليهم وعرضت عليهم الإيمان لا يعلمون مثل البهائم(٧٥)، قال الزمخشري: ((ومثَّل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو: ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق. والمعنى: ومثل داعيهم إلى الإيمان -في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت، من غير إلقاء أذهان ولا ٱستبصار- كمثل الناعق بالبهائم، التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها، ولا تفقه شيئا آخر، ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون .... وقيل معناه: ومثلهم في ٱتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم، كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم

---

(٧٤) سورة البقرة: الآية ١٧١.

(٧٥) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تحقيق وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ) ج١ ص٦٥.

باطل؟))[٧٦]، وفي ذلك ذم كبير لهم، حيث تقليدهم الأعمى لغيرهم، وتلويث تلك الفطرة السليمة، وبناء شخصية غير قادرة على الوعي والإدراك لكل داع لها، والانحراف عن الصراط المستقيم.

٢-يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ .

إنَّ هذه الصفة الثانية القائمة بالإمالة مع كُلِّ ريح وعدم القدرة على مواجهتها كناية عن الضعف من جهة حيث أنَّ هذه الشخصية لا تمتلك أدنى قوة معنوية يمكنها التصدي أو مواجهة هذه الريح، وهذه يكون بسبب عوامل متعددة من أهمها أنَّ هذا الإنسان لا توجد له مقومات شخصية ذات مبدأ معيَّن، وأهداف معلومة، مؤمن بها عن عقيدة راسخة، تمكِّنه من التصدي لكُلِّ ريح من رياح التيارات العقدية أو الاجتماعية وغيرهما، بالاستماع لما يصدر عنها، ومعرفة الصالح من غيرها، وما يؤثر على عقيدته بانحراف من غيره، وإنما يبحث عن اللهو واللعب وتحقيق لذاته؛ لذلك فهو يضيِّع العمر بذلك، ففي كُلِّ مرحلة من مراحل عمره هو في جهة معينة، فيكون بالتالي أداة بأيدي الآخرين، أو أداة لتنفيذ عقائد الآخرين، وهناك شواهد تاريخية كثيرة، وهذه الصفة المجتمعية من الصفات الخطرة التي يمكنها أنْ تكون وسيلة للوقوف بوجه الإصلاح والخير وبناء الأمة، ومواجهة الأنبياء والمصلحين لنجاة الأمة من خلال ٱتباع طغاة العصر مثلًا، ولعل ما صدر من موقف تجاه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام خير مثال على ذلك، فبعد ولاء أهل الكوفة له ومكاتبتهم ودعوتهم إياه للنصرة والقتال معه، ٱنقلابهم عليهم ومواجهتهم له في كربلاء وٱرتكابهم تلك الجريمة العظمى، ولذا كان يقول لهم بما يؤكد ما تقدم للأسف: ((تَبًّا لَكُمْ أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحًا، وَبُؤْسًا لَكُمْ وَتَعْسًا حِيْنَ ٱسْتَصْرَخْتُمُوْنَا وَلِهِيْنَ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوْجِفِيْنَ، فَشَحَذْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا كَانَ فِيْ

(٧٦) تفسير الكشاف ج١ ص٢١٤.

أَيْدِيْنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا أَضْرَمْنَاهَا عَلَى عَدُوِّكُمْ وَعَدُوِّنَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِلَبًا عَلَى أَوْلِيَائِكِمْ، وَيَدًا لِأَعْدَائِكُمْ))[٧٧].

٣- لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ.

إنَّ هذه الصفة الثالثة التي تتصف بها هذه الطبقة من المجتمع وهو عدم الرجوع إلى العلماء، أو التعلم لأجل النجاة، فكان الجهل سببًا لظلمات أنفسهم وعقولهم عن نور الإيمان والعلم، وبناء شخصية تصبو نحو الكمال، ذات عقيدة رصينة تنجيها من أنْ تكون أداة لكُلِّ ناعق، فالعلم نور يهتدي به الإنسان، ولذا عبَّر الإمام عنه بالاستضاءة به، وكما روي عنه عليه السلام: ((الْعِلْمُ مِصْبَاحُ الْعَقْلِ))[٧٨]، وقال عليه السلام: ((الْعِلْمُ مُحْيِيْ النُّفُوْسِ، وَمُنِيْرُ الْعَقْلِ، وَمُمِيْتُ الْجَهْلِ))[٧٩]، فمن فقد هذا السبيل فإنما فقد نور الإدراك ومعرفة الحقائق، وأولى تلك الحقائق نور الإيمان والعقيدة الذي له أثر في بناء الإنسان، فيكون كما قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨٠]، ووجود هذه الطبقة في المجتمع يعد سببًا من أسباب هلاكه وانحرافه، ولعل ما واجهه الإمام علي عليه السلام من جهات مجتمعية خلال حكمه في السنوات الأربع أكبر دليل على أثر هذه الطبقة في إيجاد رأي عام، بل معارضة واقعية لرسالة الله تعالى في الأرض، فكانت من نتائجها جمع أولئك (الهمج الرعاع) في حروب طاحنة ثلاث

(٧٧) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م) ج٤٥ ص٨٣.

(٧٨) غرر الحكم ودرر الكلم ص٥٠.

(٧٩) المصدر والصفحة نفسهما.

(٨٠) سورة الأنعام: الآية ١٢٢.

(الجمل وصفين والخوارج) ضد مَنْ شهد الجميع بشهادة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحقه أنه مع الحق والحق معه يدور معه حيثما دار!! وأنه رجل يحبه الله ورسوله!! وأنه كمنزلة هارون من موسى!! وأنه نفسه!! وأنه أعلمهم!! وأنه أقضاهم!! وأنه .. وأنه!!

٤ - وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

إنَّ هذه الصفة الرابعة التي أشار إليها الإمام عليه السلام في بيانه صفات هذه الطبقة من المجتمع تؤكد أنهم لا يريدون أنْ يحسِّنوا من أحوالهم في بناء شخصيتهم، فكما أنهم لم يتعلموا ما يحتاجون إليهم في آستقامة شخصيتهم، ولم يحاولوا التعلم، فإنهم كذلك لم يحالوا اللجوء إلى أي قوة موثوقة تعينهم على ذلك، فالركن الوثيق هو القوة التي يمكن الإعانة بها على معرفة مواجهة الأمور عند الصعاب، وإليه أشار الراغب الأصفهاني في تعريف (الركن) بقوله: ((رُكْنُ الشَّيْءِ جَانِبُهُ الَّذِيْ يَسْكُنُ إِلَيْهِ، وَيُسْتَعَارُ لِلْقُوَّةِ، قَال تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٨١]))[٨٢]، والقوة يمكن أنْ تكون مادية أو معنوية، فهؤلاء لم يستعينوا بأي قوة توجب لهم الاطمئنان ومعرفة ما ينفعهم، أو أنهم بسبب جهلهم آلتجؤوا إلى ركن ولكنهم لم يكن وثيقًا، فالركن الذي يشير إليه عليه السلام يجب أنْ يكون (وثيقًا)، ولا يمكن للإنسان الجاهل أنْ يميِّز الركن الوثيق عن غيره؛ ولذا سيكون من (الهمج الرعاع)، ويمكن أنْ يكون أداة إفساد بيد غيره في تحقيق مآربه، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة، وما يقوم به أصحاب العقائد الفاسدة في تضليل الناس هو من أهمها، وتحشيدهم في الوقوف ضد الحق وأهله من مواردها، ولعل من أبرز مصاديقها في زمن الإمام علي عليه السلام ما جرى من أحداث بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في آنحراف الأمة عن خليفة الله ورسوله إلى

(٨١) سورة هود: الآية ٨٠.

(٨٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢١٠ (ركن).

غيره، وما كان من تلك الأعداد الكبيرة من الهمج الرعاع الذين تم تحشيدهم لقتاله في يَوْمَي (الجمل وصفين) حيث ٱستطاع أصحاب تلك الدعوات من إغراء الناس بعناوين معينة؛ ٱعتمادًا على جهلهم.

ومما لا شك فيه أنَّ الركون إلى النظام الإلهي في تعاليم الشريعة المقدسة هو من أوثق الأركان التي توجب النجاة وٱطمئنان النفس، وقد بيَّن النظام الإسلامي الركن الوثيق الذي له القوة المطلقة في بناء شخصية الفرد والمجتمع عند الرجوع إليه، والتمسك بطاعته منهجًا وعملًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(٨٣)، فتحديد موارد الطاعة في هذه الأركان الثلاثة (الله تعالى، والرسول، وأولي الأمر) إنما هو منهج للتربية العقدية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها؛ لتكون نتيجة الركون إليها الوصول إلى الخير والأمان، فضلًا عمَّا أكدته نصوص السنة الشريفة في بيان الركن الوثيق للأمة في بيان منهج عقيدتها، ومن أهمها التي لا غبار فيها أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيان الركن الذي ينجيهم من كُلِّ ٱنحراف ومنها على سبيل المثال حديث الثقلين، والسفينة، والنجوم، والغدير، والدار وغيرها.

إنَّ هذه الصفات الأربع التي ذكرها الإمام علي عليه السلام لهذه الطبقة الثالثة من المجتمع هي أساس ٱنحرافهم وجعلهم من (الهمج الرعاع)، ومنها تتفرع صفات أخرى يمكن أنْ تكون من موانع بناء الشخصية للفرد والمجتمع؛ لذلك كانت روايات النبي والأئمة عليهم السلام تحذِّر من هذه الصفة (الجهل) بشدة من جهة، وتدعو إلى (العلم)

(٨٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

بشدة من جهة أخرى؛ لما في الأولى من آثار إيجابية كبيرة، تقابلها في الأخرى آثار سلبية كبيرة تؤدي إلى ضياع وتضييع بل إلى ٱنحراف كبير، وله آثار كبيرة، ومنها:

١ - ٱرتكاب المعاصي: روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((إِنَّ الْجَاهِلَ مَنْ عَصَى اللهَ، وَإِنْ كَانَ جَمِيْلَ الْمَنْظَرِ، عَظِيْمَ الْخَطَرِ))(٨٤).

فالرواية الشريفة تؤكد تلك حقيقة الجاهل، حيث جهله بالخالق المنعم الحقيقي الذي يجب أداء حق نعمه على العبد، وأولى خطوات ذلك معرفته وطاعته وعبادته والامتثال لتعاليمه، ولكنَّ الجاهل حقيقة هو الذي جهل هذا الأمر البديهي عن التأمل والتفكر بحقيقة الوجود، ثم الحديث يحذر من الاغترار بمظاهر الشخص المادية التي يكون عليها فهي لا تظهر حقيقة شخصيته، وعدم الاغترار بذلك؛ لأنَّ جهله أدى به إلى ٱنحراف شخصيته العقدية وٱبتعادها عن الله تعالى، وهذا الأمر له خطر كبير في التأثير على أبناء المجتمع حيث الغرور بمظاهر أو مناصب أو شهادات علمية من دون مراعاة ما يتعلق بالعبودية، فالإنسان المؤمن هو الذي يعبد الله تعالى لأنه أهل للعبادة، ويتجنَّب معصيته ويبتعد عن عبادة لذاته وشهواته كما ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((الْجَاهِلُ عَبْدُ شَهْوَتِهِ))(٨٥).

٢- سوء المعاشرة: روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في بيان صفات الجاهل: ((إِنْ صَحِبْتَهُ عَنَّاكَ، وَإِنِ ٱعْتَزَلْتَهُ شَتَمَكَ، وَإِنْ أَعْطَاكَ مَنَّ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَعْطَيْتَهُ كَفَرَكَ، وَإِنْ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ خَانَكَ..))(٨٦).

(٨٤) بحار الأنوار ج١ ص١٦٠.

(٨٥) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٤.

(٨٦) تحف العقول ص٢١

إنَّ هذه الصفات الخمس وغيرها مما ورد في الحديث الشريف تؤكد الخصال الذميمة التي تبرز في شخصية الجاهل، وفيها آثار كبيرة في المجتمع عند معاشرته، والتأمل فيها يُظهر مدى الإساءة التي تصدر عنهم تجاه الآخرين، وضرورة الابتعاد عنهم والتحذير منهم من جهة، ومواجهة هذه الأمراض من جهة أخرى؛ خوف آنتشارها في المجتمع.

٣- الكفر: روي عن الإمام علي عليه السلام: ((لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ حِيْنَ جَهِلُوْا وَقَفُوْا، وَلَمْ يَكْفُرُوْا، وَلَمْ يَضِلُّوْا))[٨٧].

إنَّ الرواية تظهر بكُلِّ وضوح آثار الجهل على العقيدة، وآنحراف الإنسان عن الإيمان، وضياعه في ظلمات الكفر والضلالة، وما يترتب عليهما من سلوك مخالف للأخلاق والدين، والابتعاد عن نور الفطرة الإنسانية وتلويثها، فالجهل في الرواية يظهر مدى آثار الجاهل وخطورته في المجتمع حيث الكفر والضلال، والابتعاد عن العقيدة التي يجب أنْ يكون عليها، وتؤثر في وجوده الشخصي ووجود الآخرين، وما في ذلك من بناء للشخصية الإسلامية.

٤- الغرور: روي عن الإمام علي عليه السلام: ((ثَرْوَةُ الْجَاهِلِ فِيْ مَالِهِ وَأَمَلِهِ))[٨٨].

إنَّ هذه الصفة التي تتصف بها شخصية الجاهل صفة طبيعية؛ لجهلها أنَّ الغرور بلذات الدنيا والركون إليها في بناء النفس إنما هو ركون إلى أوهام، أو ركون إلى قوًى لا يمكنها أنْ تؤدي رسالتها، فالمال وإنْ كانت له قوة مادية معينة ولكنها زائل ولا يدوم، فزواله هو زوال لصاحبه كما قال الإمام علي عليه السلام: ((وَصَنِيْعُ الْمَالِ يَزُوْلُ

(٨٧) غرر الحكم ودرر الكلم ص٣١٩.

(٨٨) المصدر نفسه ص١٨٣.

بِزَوَالِهِ .... هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ))[٨٩]، بل المال له قوة على تدمير الإنسان إنْ لم يحسن أداء التعامل معه على وفق نظام معيَّن، فقد روي عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التحذير من الغرور به: ((إِنَّ الدِّيْنَارَ وَالدَّرْهَمَ أَهْلَكَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ))[٩٠]، والهلاك المعنوي الذي يصيب الإنسان ويحرفه عن فضائل النفس هو شر بكثير من الهلاك المادي.

٥- الظلم: روي عن الإمام علي عليه السلام: ((رَأْسُ الْجَهْلِ الْجَوْرُ))[٩١].

إنَّ صدور الظلم والاعتداء على الآخرين من الإنسان الجاهل أمر طبيعي؛ لأنه بعيد عن منابع الخير والبر، والتعاليم التي تحدد له معالم الخير والشر، وتعرِّفه النظام الذي يجب عليه ٱتباعه، والذي يضمن حقوق الجميع من التعدي، والنظام الإسلامي يحرِّم ذلك لأجل تحقيق العدالة ونشر الفضيلة في المجتمع، ولنتأمل في قوله تعالى وهو يؤكد النهي عن الاعتداء: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٩٣] وغيرهما من الأمثلة الكثيرة التي تحاول أنْ تجعل الشخصية الإسلامية ذات أبعاد إنسانية، ولها أثر كبير في تحقيق الخير والفضيلة في المجتمع، بينما الجاهل مخدوع بما يملك من قوة

(٨٩) نهج البلاغة ج٣ ص١٨٦.

(٩٠) الكافي ج١ ص٣١٦، باب (حب الدنيا والحرص عليها) الحديث ٦.

(٩١) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢١٣.

(٩٢) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٩٣) سورة البقرة: الآية١٩٠.

مادية أو معنوية يراها سلاحه الذي يحصن به نفسه، وقد حذر الإمام علي عليه السلام من هذا الغرور بقوله: ((الْجَاهِلُ مَنِ ٱنْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ))[٩٤].

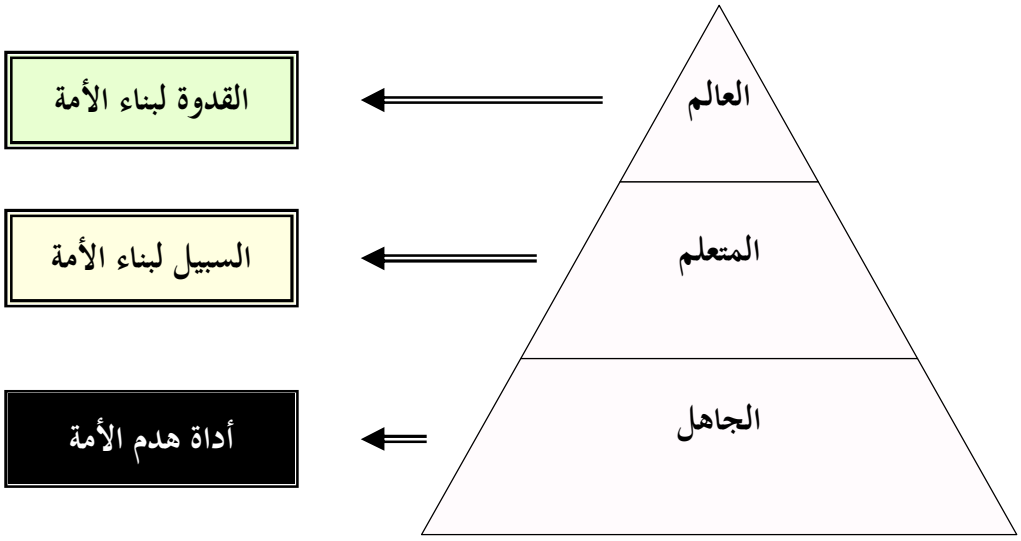

مخطط يوضح طبقات المجتمع الثلاث في حديث الإمام علي عليه السلام ودورها في بناء الشخصية للفرد والمجتمع

(٩٤) غرر الحكم ودرر الكلم ص٢٤.

ثم يتحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد هذا التقسيم للمجتمع في فقرات ثلاث من وصيته المباركة عن المفاضلة بين (العلم والمال)، أي بين الذين يبحثون عن الخلود الحقيقي والخلود الموهوم، أو بين الخلود وعدمه، وهو يؤكد حقيقة مهمة من حقائق الناس في هذه الدنيا، حيث يرى بعض أنَّ مقام الناس ومنزلتهم على قدر غناهم وأموالهم، كما قال تعالى في بيان واقع قوم نبي الله موسى عليه السلام في أعظم محاورة بين طبقتين من طبقات المجتمع، الأولى تنظر إلى الأموال والجاه على أنه الخلود والعز، والأخرى ترى أنَّ هذه يزول بزوال صاحبه، بل تبقى الحقيقة للإيمان والعلم والعمل: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾(٩٥).

فهذه الآيات المباركة تصوِّر –للأسف– نظرة بعض الناس إلى الأموال وكأنَّها هي الأمل الوحيد لسعادتهم، فالآية المباركة تبيِّن صورة لصور أولئك الطغاة الذين

(٩٥) سورة القصص: الآيات ٧٦-٨٢.

جمعوا الأموال واللذات من أجل تحقيق مآربهم الشخصية، وإيجاد مقامٍ لهم في المجتمع من خلال أموالهم، وهم يحسبون جهلًا أنَّ ذلك بما يملكون من قوة ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾، وقد نسي أنَّ سكرة هذه الشهوة هي زائفة زائلة، وأنَّ الله تعالى ذو القوة المتين القادر على إهلاكهم، وكسر جبروتهم وغرورهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

إنَّ الجاهل من آثاره أنَّه يعظِّم أولئك الطغاة من جهة، ويكون من أحد أسبابهم في تحقيق غاياتهم من جهة ثانية؛ لأنَّ شخصيتهم قائمة على رؤية الظاهر وعدم التحقيق في حقيقة الأمور؛ بسبب ما تقدم من أنهم لم يسضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، وأنهم ممن ينظر إلى هذه الدنيا على أنها الحياة الحقيقية التي يجب عليهم أنْ ينشغلوا بلذاتها وشهواتها، وهذه الصورة القرآنية تؤكد تلك حقيقية الجاهل التي وصفها أمير المؤمنين عليه السلام من قبل ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

وأما الذين كانوا من العلماء الربَّانيين أو المتعلمين على سبيل نجاة لم ينخدعوا بكثرة أموال الطغاة وغرورهم بها؛ ليقينهم أنَّ ذلك كله زائلٌ فانٍ، وأنَّ الإنسان لا يخلد بسببه، بل هو نوع من أنواع الابتلاءات التي تواجه الإنسان، فكان هذا العلم سبب في عدم الغرور والابتهاج بذلك، ومواجهة الجاهلين ودعوتهم ونصيحتهم بالابتعاد عن هذا الجهل الذي كان سببًا في الضياع والانحراف عن الحق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

وإنَّ هذا الانحراف عن الحق الذي أصاب الأمة من خلال الجاهلين وأسيادهم الذين يقومون بتغريرهم كانت نتيجته الهلاك الحتمي، فالله تعالى أوهن كيدهم، وأظهر

ضعف دعاويهم، وزيف أباطيلهم، وجعلهم درسًا للأجيال؛ لئلا يصيبهم الغرور بذلك، وإلى هذا سيشير الإمام علي عليه السلام في بيان أوهام الجاهلين في تقديمهم طلب المال على العلم، فالصورة القرآنية المباركة تؤكد هذه الحقيقة العظيمة التي لا بد من الاتعاظ بها ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾.

ومما يجب أنْ يقوم به أهل العلم هو دوام نصيحة الجاهلين، ودعوتهم للتفكر والتأمل في القرون التي مضت، وفي أحوال أولئك الطغاة الذين جعلوا من أهل الجهل أداة لرغباتهم، وكان الجهل من أسباب نصرتهم وموالاتهم، والندم بعد معرفة مآل الحقيقة، فالندم أمر لا مفرَّ منه للإنسان الجاهل الذي يتبع كُلَّ ناعق ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وهذه الفقرات الثلاث(٩٦) التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في ختام وصيته لكميل هي من أعظم ما ورد في هذا المجال، في بيان حقيقة المفاضلة بين (العلم والمال)، وهي الآتي:

- أولًا: يقول عليه السلام: ((يَا كُمَيْل الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ)).

(٩٦) وهي تحتاج إلى بحث مستقل يسلط الضوء على هذه الحقيقة من جوانبها المختلفة، وبيان آثارها على الفرد والمجتمع، ولعل الله تعالى يوفِّق الباحثين الكرام لبيان ما يتعلق بذلك، والتأكيد على عظمة هذه الوصايا في الحفاظ على الفطرة الإنسانية من الضياع والانحراف في جوانبه المختلفة.

وفيها تأكيد على أمور أربعة مهمة:

١ - إنَّ الخير الحقيقي إنما يكون في العلم وليس في المال.

٢ - إنَّ العلم يحصِّن الانحراف والضياع والوصول إلى السلامة، ولا يمكن للمال ذلك.

٣- إنَّ العلم في نمو دائم عند العمل وإنفاقه، وهذا لا يكون في المال.

٤ - إنَّ الخلود الحقيق إنما يكون بسبب العلم لا بالمال.

- ثانيًا: يقول عليه السلام: ((يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ اَلْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ)).

وفيها تأكيد على أمور أربعة مهمة:

١ - بيان مقام العلم وعلاقته بالدين وطاعة الله عز وجل.

٢ - إظهار مقام العلم على صاحبه في الدنيا حيث تلك المنزلة الرفيعة بين الناس.

٣- بيان الآثار المباركة للعلم على صاحبه بعد رحيله عن الدنيا.

٤ - إبراز السلطة المعنوية الكامنة في العلم، وأثرها على الآخرين في أوقات معينة، بل مطلقًا في بعض الموارد.

- ثالثًا: يقول عليه السلام: ((يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ، أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ)).

وفيها تأكيد على حقيقة مهمة جدًّا تتعلق بالخلود الحقيقي الذي أعده الله تعالى لعباده العلماء العاملين، وبيان منزلتهم ومقامهم في سبيل جهادهم من أجل العلم والعمل على هداية الناس؛ والواقع يؤكد ذلك حيث أننا نستذكر في بعض

الأحايين أعلامًا مرَّت على وفياتهم أكثر من ألف عام، ولا زالت علومهم تـــدرَّس في المعاهد والمدارس العلمية، ومؤلفاتهم شاهدة على مقامهم وفضلهم.

إنَّ كُلَّ ما تقدم من بيان موجز عن هذه الطبقات الثلاث التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته العظيمة لتلميذه كميل بن زياد تؤكد فضل الشريعة الإسلامية المقدسة ومقامها في بناء الشخصية للفرد والمجتمع، والحفاظ عـــلى الفطـــرة الإنسانية من تلويثها وآنحرافها، وقد تبيَّن لنا بإيجاز أهميـــة هذا النظام ومنظومته التربوية في تحقيق الـــسعادة للبـــشرية كلها، من خلال العلم والتعلم والـــدعوة إلـــيهما بالعمـــل الصالح.

- خاتمة المطاف:

١ – إنَّ تقسيم الإمام علي عليه السلام المجتمع على وفق هذه الطبقات فيه دلالة على أهمية معرفة منازل الناس وبيان صفة كُلِّ منزلة؛ ليتم من خلال معرفة الفاضل من المفضول، وحسن التعامل مع كل طبقة على وفق الحكمة في ذلك.

٢ – إنَّ هذا التقسيم الثلاثي الذي أشار إليه الإمام يعدُّ سابقة منه عليه السلام في دراسة المجتمعات دراسة ٱجتماعية واقعية، وبيان ما يتعلق بكُلِّ طائفة منها بما لا يمكن الاختلاف فيه، حيث العلم فضيلة يدرك كُلُّ عاقلٍ فضله ومقامه.

٣– إنَّ تأكيد الإمام عليه السلام على أنْ يكون العالم عاملًا هو تأكيد لمنهج الشريعة الإسلامية المقدسة الداعي إلى العمل المقترن بالعلم، وعدم الاعتماد على أحد منهما من دون الآخر، حيث لا يمكن أداء الرسالة والأمن من الانحراف بأحدهما، وهي رسالة إصلاحية واضحة لمن يغتر بعلمه من دون عمل.

٤ – إنَّ البحث قد أظهر فضيلة العلم وآثار العلم في بناء الشخصية الإسلامية، وأهمية هذا المنهج للإنسان المؤمن الباحث عن كماله، وهذا يوجد على المؤمنين والمؤسسات التعليمية والتربوية بذل جهود كبيرة من أجل ترسيخ ذلك في المجتمع؛ لبناء جيلٍ واعٍ لرسالته وأهدافها.

٥ – لقد تبيَّن في المبحث الثالث خطورة صفة الجهل في ضياع الفرد والأمة، وٱنحرافها عقديًّا وتربويًّا وٱجتماعيًّا، وآثاره الكبيرة في إيجاد مجتمع ضائع وسط الدعوات المختلفة التي تؤثر عليه، وهو يجري كُلَّ يوم خلف إحداها، وفي ذلك آثار سلبية كبيرة في سلوك الفرد والمجتمع.

٦- يوصي الباحث بضرورة أنْ تتضمَّن المناهج التعليمية للمدارس منذ المرحلة الابتدائية هذه الأحاديث التي لها دور كبير في بناء الجيل بناءً على وفق منهج إسلامي يؤثر في بناء شخصيته، وهذه الدعوة طالما ذكرناها في المؤتمرات والبحوث، ولكن – للأسف- من دون جدوى.

٧- يوصي الباحث على أهمية أنْ تكون هناك مؤسسات تربوية مجتمعية تُعنى بدراسة المجتمع ومشاكله، ووضع الحلول الناجعة على وفق تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، التي ضمنت للإنسان هدايته وصلاحه إنْ تمسَّك بها؛ لنؤكد لأبنائنا عظمة المنهج الإسلامي في التربية، والذي هو ضعيف –للأسف- في المجتمع.

٨- يوصي الباحث ضرورة أنْ يتم تفعيل تلك الوصايا العظيمة الواردة في نهج البلاغة مجتمعيًّا، من خلال ندوات خاصة، أو بحوث تخصصية، أو مسابقات للكتابة أو التحليل أو الحفظ، بما يرسخ في المجتمع تلك المفاهيم والمواضيع العظيمة التي تضمَّنها هذا السِّفر العلوي الخالد.

وصية أمير المؤمنين عليه السلام
إلى كميل بن زياد

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

* المؤلفات:

١. الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، (الناشر: دار الثقافة، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٢. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١٠هـ/١٦٩٩م)، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار المغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، د.م).

٤. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (مط مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ).

٥. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن شعبة الحراني (ت ق٤)، تقديم حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٧، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٦. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ق٣)، تحقيق وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، (دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط٣، ١٤٠٤هـ).

٧. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، (ط١، مط شريعت، ١٤٢٦هـ، قم).

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م)، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، (دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م).
٩. الشخصية الإسلامية مقوماتها معالمها نتائجها، حسن محمد الشيخ علي، (مكتبة سيد الشهداء عليه السلام العامة في كربلاء، مط الغري الحديثة، النجف، ١٣٨٦هـ، د.ط).
١٠. شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م).
١١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مط دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، د.م).
١٢. غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي عبد الواحد التميمي الآمدي (ت٥٥٠هـ/١١٥٥م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م).
١٣. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤١م)، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ، د.ط).
١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الكشاف)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ).

١٥. المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠هـ١٩٩٠م).

١٦. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م).

١٧. المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، (دار التعارف، بيروت، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م، د.ط).

١٨. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م).

١٩. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم ٱبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م)، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٢٠. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٩م، د.ط).

٢١. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.

٢٢. معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الخوئي (ت١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، (ط٥، ١٤١٣هـ١٩٩٢م. د.مط، د.م).

٢٣. المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، د.ط).

٢٤. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، اعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط).

٢٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م): تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، (دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م).

٢٦. منهاج الصالحين، السيد علي الحسيني السيستاني، (دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١٩، ١٤٣٤هـ٢٠١٣م).

٢٧. منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، زين الدين بن علي الشهيد الثاني (ت٩٦٥هـ/١٥٥٨م)، تحقيق: رضا المختاري، (ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٩هـ).

٢٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري (ت١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م)، تحقيق: دار الحديث، (ط٢، مط دار الحديث، قم، ١٤١٦هـ).

٢٩. نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)، شرح: محمد عبده، (مط الاستقامة، مصر، د.ط، د.ت).

* الدوريات:

٣٠. بناء الشخصية الإسلامية قراءة في المشروع الحضاري والإنساني للإمام زين العابدين عليه السلام، الدكتور وسيم عبود عطية، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ٢٠١٨م، العدد٤٦، ج١ ص٦٢٦-٦٢٩.

الفهرس

مقدمة	٥
تمهيد: معالم الشخصية الإسلامية ومميزاتها	٩
- المبحث الأول: الطبقة العليا: العالم	١٤
- المبحث الثاني: الطبقة الوسطى: المتعلم	٢٢
- المبحث الثالث: الطبقة الدنيا: الجاهل	٣٠
١ - أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ.	٣٤
٢ -يمَيلوُن مَعَ كلُّ رِيحٍ .	٣٥
٣- لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ.	٣٦
٤ - وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.	٣٧
خاتمة المطاف	٤٨
قائمة المصادر والمراجع	٥١
الفهرس	٥٥

وصیة أمیر المؤمنین علیه السلام
إلی کمیل بن زیاد

إنَّ بناء الشخصية الإنسانية عامة يحتاج إلى منهج قائم على أسس تربوية رصينة من جهة، وتم تطبيقه من جهة أخرى؛ حتى يمكننا أنَّ نجعله نظامًا لبناء شخصية الإنسان؛ لأنَّ الإنسان هو أشرف الموجودات، وبناء الشخصية الإسلامية خاصة يحتاج إلى ذلك أيضًا، وقد تكفَّلت الشريعة الإسلامية المقدسة بنظامها الإلهي من بناء شخصية الإنسان المسلم بناءً رصينًا، يمكنه من خلاله أنْ يكون قدوة للآخرين ..

وفي هذه الصفحات العلوية الموجزة تم اختيار جزء من وصية الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» لكميل بن زياد، وبيان آثارها التربوية في بناء الشخصية من خلال الجوانب الحياتية المختلفة، التي تؤسس إلى المنهج الإسلامي لإيجاد القدوة القادرة على التأثير في الآخرين ..

الأضحية
للتأليف والتحقيق والنشر